

السلوز عند نهاية الشتاء، يطل الربيع ينتظره القبلي، تحت نوارات اللوز، بلا مدينة أنا وقلبي المدينة لبلاد بيكيه قلبه، بلا أهل بين نشرهم الأهل وأنا الغريب، أنا ذاكرة الشجر والحجر تذكاري.. (النص 98) هكذا كان حمو القط كائناً حياً يقوم بدور سردي داخل هذا النص. كائناً حياً ينهض في العمل السردي بوظيفة الشخصية دون أن يكونه (عبد المالك مرتاض تحليل الخطاب السردي 126).

ومن اللافت للانتباه كثرة الشخصيات الموظفة في هذا النص السردي، حتى أن القارئ يجد صعوبة في تتبعها وتذكرها، لقد اقتربت هذه الشخصية من الشخصية المفهوم التي وقفنا عليها عند عبد المالك مرتاض في الخنازير وصوت الكهف، فليس هناك شخصية يمكن الوقوف على معالمها. وكل ما نجده هو عبارة عن تقاطعات لمفاهيم إنسانية تتجسد في أفعال ومواقف. يقف بوحباكة معلناً عن وجود سلبي مقهور يصور اخفاقات المؤلف نفسه، والذي يقرأ النص يشعر بـ "بوحباكة حاضراً وإن لم يذكر اسماً أو صفة. وفي الواقع لا يحمل اسماً إنه يحمل صفة، أو لنقل يعيش وضاعاً لا يخصه بل يخص كل من مر بمثل حاله. إن بوحباكة قد يتجسد في أي إنسان وقد لا يتجسد، إنه موجود وغير موجود في الوقت ذاته. وما حمله لهذا الاسم إلا على سبيل التمييز والترميز له. ذلك أن الشخصية تكون بمثابة دال من حيث أنها تتخذ عدة أسماء أو صفات تلخص هويتها (حميد لحميداني بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي 160- المركز الثقافي العربي بيروت - الدار البيضاء).

فقد كان "مالحة" دالاً من نوع خاص فهو، إن كان ذكراً، فقد صبغ عليه المؤلف صفات الأنوثة بكل ما تحمل هذه الكلمة من شحنات، فاسمه "صفته" مؤنث، وقد فقد ذكورته، غير قادر على الحركة والمناورة حتى وإن كانت لديه إرادة، فهي إرادة غير فاعلة كان مالحة أسر إليه والعجز حزن يدمر فيه ما تبقى في صدره الصغير من حلم مجهض أن برارج الساكن في أعلى الكنيسة إلى يساره خلال عودته مساء الربيع وهو يلقلق بعد أن استقر في أعشاشه ينكده برشاقتة.. (النص: 80).

ولعل من جمالية هذا النص أن المبدع قد قدم النص من نظر القارئ، فإنه لا يترك شخصياته حيث يتموقع مع كل نقلة من النقلات السردية، حيث لا يكون واصفاً فقط وإنما نشعر أنه داخل السرد مشاركاً فيه، كما حصل في الصفحة 101 لم تكن تستطيع أن ترى ما يجري ولا أن تتبين باب الغرفة لأن ميمونة كانت استقامت خارج الباب تبحث بعينها المدورتين عن شيء ما في